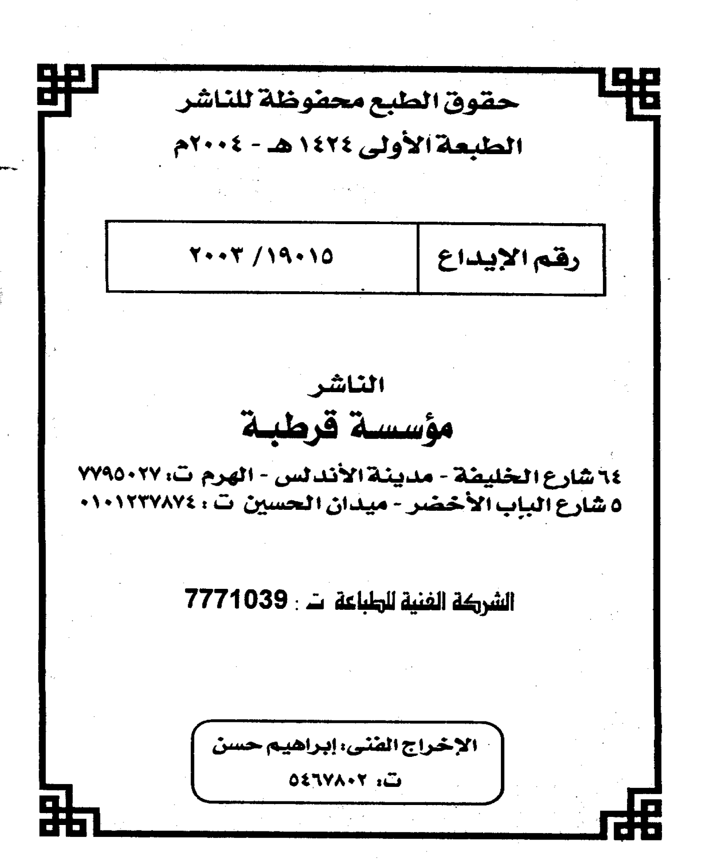


الطريق إلى جنة الرحمن

جمع وترتيب
محمود المصرى
أبو عمار

مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧



الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع	١٩٠١٥/ ٢٠٠٣

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة ت : 7771039

الإخراج الفنى: إبراهيم حسن
ت: ٥٤٦٧٨٠٢

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده، أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين وحُجة على العباد أجمعين.

أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه، وسد إلى جنته جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره. فهدى به من الضلالة، وعلَّم به من الجهالة. وكثَّر به بعد القِلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة. وبصَّر به من العمى، وأرشد به من الغى، وفتح برسالته أعينًا عميًا وآذانًا صُمًا وقلوبًا غُلفًا. فبلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده وعَبدَ الله حتى أتاه اليقين فلم يدع خيرًا إلا دل أمته عليه ولا شرًا إلا حذر منه ونهى عن سلوك الطريق

الموصلة إليه. ففتح القلوب بالإيمان والقرآن، وجاهد أعداء الله باليد والقلب واللسان. فدعا إلى الله على بصيرة، وسار فى الأمة - بالعدل والإحسان وخُلقه العظيم - أحسن سيرة. إلى أن أشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها. وسارت دعوته سير الشمس فى الأقطار، وبلغ دينه القيم ما بلغ الليل والنهار. واستجابت لدعوته الحق القلوب طوعًا وإذعانًا، وامتلأت بعد خوفها وكفرها أمنًا وإيمانًا. فجزاه الله عن أمته أفضل الجزاء، وصلى عليه صلاة تملأ أقطار الأرض والسماء، وسلم تسليمًا كثيرًا[١].

أما بعد..

فتعالوا بنا لنتعرف على الطريق الذى نصل من خلاله إلى جنة الرحمن (جل وعلا) عسى أن تعلو الهمم وتتسابق القلوب قبل الجوارح لطاعة علام الغيوب (جل وعلا) فيكون اللقاء على حوض النبى ﷺ، ومن ثَم فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر... فهيا لنضع أقدامنا على أول الطريق.

ومعكم على الطريق/ الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

---

(١) طريق الهجرتين/ لابن القيم (ص: ٧، ٨) بتصرف.

طريق الجنة واحد

اعلم أيها الأخ الحبيب واعلمى أيتها الأخت الفاضلة أن طريق الجنة واحد فلقد أبى الله (جل وعلا) أن يجعل للجنة طريقًا إلا خلف النبى ﷺ.

قال تعالى: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**

(الأنعام ١٥٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال : «هذه سبل» على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ : **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**»[١].

بل وضَّح النبى ﷺ للأمة أنهُ لن يدخل أحدٌ جنة الرحمن «جل وعلا» إلا إذا أطاع الحبيب ﷺ.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٣٥)، والحاكم (٢/ ٣١٨) بإسنادٍ صحيح.

قال: «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[١].

بل تأملوا معى هذا الحديث الذى رواه البخارى والترمذى أن الحبيب ﷺ قال: «إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى، وميكائيل عند رجلى، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».

- إذن .. فطريق الجنة واحد وهو الطريق الذى اختاره لنا الحق «جل وعلا» وذلك بأن نقتفى أثر النبى ﷺ وأن نتبع شرعه وسنته لنسعد فى الدنيا والآخرة.

فاتبعونى يحببكم الله

- لقد جعل الله «جل وعلا» اتباع الرسول ﷺ دليلاً على محبته «سبحانه وتعالى» فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ

(١) أخرجه البخارى (٧٢٨٠).

أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران ٣١ : ٣٢).

يقول ابن كثير رحمه الله :

هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله. اهـ[1].

فمن كان لمحمدٍ مُتبعاً . . كان لله مُحبًا.

ولقد أحسن من قال :

تعصى الإله وأنت تزعـم حبـه   هذا لعمرى فى القياس شنيع

لو كنت صادقًا فى حبه لأطعته   إن المحـب لمـن يحب مطـيع

بل لقد جعل الله «عز وجل» طاعة الرسول ﷺ واتباعه سبيلاً للهداية فقال تعالى: ﴿**وإن تطيعوه تهتدوا**﴾ (النور ٥٤)، وقال تعالى: ﴿**واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾ (الأعراف ١٥٨).

ولقد كان هذا الفهم متأصلاً عند أصحاب الرسول ﷺ ولذا قال ابن مسعود - كما عند مسلم -: «ولو تركتم سُنة نبيكم لضللتم».

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٣٨).

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ﷺ

قال تعالى مخاطبًا أهل الإيمان الذين لامس الإيمان شغاف قلوبهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ (الحجرات ٢).

وستعجب أيها الأخ الحبيب عندما تعلم أن صدر تلك الآيات قد نزل فى أفضل رجلين فى تلك الأمة المباركة بعد رسول الله ﷺ . . فى أبى بكر وعمر رضي الله عنهما.

ففى صحيح البخارى عن ابن أبى مليكة قال: «كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ حين قدم عليه ركب بنى تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع: لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافى؟ قال: ما أردت خلافك. فارتفعت أصواتهما فى ذلك فأنزل الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ الآية.

قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه[1].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٨٤٥) التفسير.

يعني كان يخفض من صوته حتى كان النبي ﷺ يسأله: ماذا تقول؟

وروى الحاكم موصولاً من حديث أبي هريرة أن الآية لما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، آليت أن لا أكلمك إلا كأخي السرار»[1]، أي لن أكلمك بعد اليوم إلا كمن يهمس بسر لأخيه!!

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ يقول أنس: جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ فسأل النبي سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى. قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار... فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله: «بل هو من أهل الجنة».

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي.

* فإن كان هذا هو الوعيد لكل من رفع صوته فوق صوت النبى ﷺ فما ظنكم بمن يقدم رأيه على رأى النبى ﷺ .. بل ويقدم شرع المهازيل من البشر على شرع الله وسنة رسول الله ﷺ ؟!!

قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء ٦٥).

لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﷺ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات ١).

قال القرطبى (رحمه الله): لا تقدموا قولاً ولا فعلاً بين يدى الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا ومن قدم قوله أو فعله على الرسول ﷺ فقد قدمه على الله تعالى لأن الرسول إنما يأمر عن أمر الله «عز وجل»[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

وقال مجاهد (رحمه الله): لا تفتاتوا على رسول الله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٠٠).

ﷺ حتى يقضى الله تعالى على لسانه.

وقال سفيان الثورى (رحمه الله): لا تقدموا بين يدى الله ورسوله بقول أو فعل.

وقال الضحاك (رحمه الله): لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله من شرائع دينكم[١].

وجوب الإيمان برسول الله ﷺ

إن الإيمان بالنبى ﷺ وبرسالته واجب على كل مسلم ومسلمة.. ولا يتحقق الإيمان إلا به.. فمن آمن بالله «جل وعلا» ولم يقر برسالة النبى ﷺ فإيمانه مردودٌ عليه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاثة أشياء مقرونة بثلاثة فلا يقبل الله واحدة بغير الأخرى:

قال تعالى: ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول فلن يُقبل.

وقال تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ فمن آتى الزكاة ولم يُقم الصلاة فلن يُقبل.

وقال تعالى: ﴿**أن اشكر لى ولوالديك**﴾ فمن شكر لله ولم يشكر للوالدين فلن يقبل.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٠٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«فلا يكون الرجل مؤمنًا حتى يقر بما جاء به النبى ﷺ وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة.. وهو الإقرار بما جاء به النبى ﷺ وهو نفس ما جاء به القرآن وجاءت به السنة»[١].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:

«والإيمان هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علما. والتصديق به عقدًا. والإقرار به نطقًا. والانقياد به محبة وخضوعًا. والعمل به باطنًا وظاهرًا. وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان»[٢].

وقال القاضى عياض رحمه الله تعالى:

«والإيمان به ﷺ هو تصديق بنبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه فى جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك بشهادة اللسان بأنه رسول الله ﷺ. فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به عليه الصلاة والسلام والتصديق له»[٣].

---

(١) القاعدة المراكشية (٢٤، ٢٥).

(٢) الفوائد (ص: ١٠٧).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى/ للقاضى عياض (٢/ ٥٣٩).

الأدلة النقلية والعقلية على وجوب اتباع النبى ﷺ

أما عن الأدلة النقلية التى تدل على وجوب طاعة النبى ﷺ واتباعه فهى كثيرة ولكن سنذكر بعضها.

قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً (٧٩) مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (النساء ٧٩، ٨٠). وقوله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٨).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحديد ٢٨)، وقال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (النساء ٨٠).

وقال ﷺ كما عند البخارى: «من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله».

وقال ﷺ - كما عند مسلم -: «والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى أو نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

* ويعلق الإمام النووى على هذا الحديث قائلاً:

«وفى هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد ﷺ وفى مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور. وهذا جار على ما تقدم فى الأصول. أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح والله أعلم.

وقوله ﷺ: «لا يسمع بى أحد من هذه الأمة» أى ممن هو موجود فى زمنى وبعدى إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليه الدخول فى طاعته، وإنما ذكر اليهودى والنصرانى تنبيهًا على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابًا فغيرهم ممن لا كتاب لهم أولى... والله أعلم» اهـ[1].

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله».

وأما عن شهادة التوراة والإنجيل فقد قال «جل وعلا»:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

(١) مسلم بشرح النووى (٢/٢٤٨).

الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف ١٥٧).

وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

وفى الحديث الذى رواه البخارى عن عبد الله بن سلام ﷺ أنه كان يقول: «إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ «أى فى التوراة»: إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين. أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ سخاب فى الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله. ويُفتح به أعينٌ عميٌ وآذانٌ صمٌ وقلوبٌ غلفٌ».

* **وأما عن الأدلة العقلية فهى كثيرة جدًا:**

ولعل من أعظمها وأجلّها ما أيده الله به من المعجزات والبراهين القاطعة بصدق نبوته ولا شك أن أعظمها المعجزة الخالدة الباقية إلى قيام الساعة ألا وهى القرآن الكريم الذى تولى الله حفظه فلم تتبدل فيه كلمة ولم يتغير منه حرف.

قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (الحجر: ٩). وما تولى الله حفظه لا يضيعه أحد!!

بل ولقد تحدى الله البشرية على مدار تاريخها ولا زال التحدى قائمًا إلى يوم القيامة على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).

فلما عجزت البشرية عن ذلك خفف الله التحدى فقال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ (هود: ١٣). فعجزوا أيضًا.

فخفف الله التحدى فقال عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ (البقرة ٢٣، ٢٤).

وبالإضافة إلى هذه المعجزة الخالدة هناك الكثير من المعجزات الحسية الأخرى التى تلوى الأعناق ليًا إلى التصديق بنبوته ﷺ والإيمان برسالته كانشقاق القمر وبكاء الجذع وحنينه لفراقه ﷺ، والإسراء والمعراج، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وغيرها الكثير والكثير.

فإذا لم يكن هناك مانع على صدق رسالة محمد ﷺ نقلاً ولا عقلاً وجب على الجميع إذا بلغته رسالته ودعوته أن يؤمن

به وأن ينقاد له وأن يقف عند كل ما حدَّه وشرعه ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)[١].

رسالة عاجلة إلى منكري سنة الحبيب ﷺ :

إن سُنة النبي ﷺ هي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن.. ولا يمكن أن يستغني المسلمون عن السنة أو أن يتركوها أبدًا أو أن يفصلوا بينها وبين القرآن لأن السنة هي التي تشرح وتوضح وتفصل كل ما جاء مُجملاً في كتاب الله «عز وجل».. فقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

ولذا جمع النبي ﷺ بين القرآن والسنة فقال: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٢].

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «في أي قرآن وُجد أن الظهر أربع ركعات وأن المغرب ثلاث ركعات. وأن الركوع على صفة كذا والسجود على صفة كذا وصفة القراءة فيها والسلام

---

(١) قواعد المجتمع المسلم/ الشيخ محمد حسان (ص: ٦٢، ٦٣).

(٢) رواه الحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

وبيان ما يجتنب فى الصوم، وبيان كيفية الزكاة فى الذهب والفضة والغنم والإبل والبقر ومقدار الأعداد المأخوذة منها الزكاة ومقدار الزكاة المأخوذة وبيان أعمال الحج وصفة الرضاع المحرم وما يحرم من المآكل وصفتا الذبائح والضحايا وأحكام الحدود وصفة وقوع الطلاق وأحكام البيوع وبيان الربا والأقضية والتداعى والأيمان والصدقات وسائر أنواع الفقه؟

وإنما فى القرآن جُمل لو تُركنا وإياها لم ندر كيف نعمل بها وإنما المرجوع إليه فى كل ذلك النقل عن النبى ﷺ فلابد من الرجوع إلى الحديث ضرورة. ولو أن امرءًا قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا فى القرآن لكان كافرًا بإجماع الأمة..»[1].

النبى ﷺ يخبر عن ظهور هذا الصنف

وقد أخبر الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى أن هذا سيقع وحذر منه كما فى السنن من حديث المقدام بن معد يكرب أن النبى ﷺ قال: «ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة مال المعاهد».

---

(١) بتصرف من الإحكام فى أصول الأحكام (٢/ ٧٩، ٨٠).

وفى لفظ: «يوشك أن يقعد الرجل على أريكته فيحدث بحديثى فيقول: بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»(١).

* ويفصل العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى هذه المسألة الكبيرة تفصيلاً بديعًا فى إعلام الموقعين فيقول:

«والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه

فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثانى: أن تكون السنة بيانًا لما أريد بالقرآن وتفسيرًا له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لما سكت - أى القرآن - عن تحزيمه ولا تخرج عن هذه الأقسام.

فلا تُعارض القرآن بوجه ما فما كان منها زائدًا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبى ﷺ تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته وليس هذا تقديمًا لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع فى

(١) رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٤٣).

هذا القسم لم يكن لطاعته معنى وسقطت طاعته المختصة به وإنه إذا لم تجب إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص به وقد قال الله تعالى: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ (النساء: ٨٠)[١].

وقال الله عز وجل: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (الحشر: ٧).

فعليكم بسنتى

وتأتى وصية النبى ﷺ لأمته بأن يتمسكوا بسنته لأنها طوق النجاة فى بحار الفتن التى تعيش فيها الأمة الآن.

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله: كأنها موعظة مودع فأوصنا.

قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ حبشى وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[٢].

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٣٢٣).

(٢) رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٤٩).

ولك أن تتخيل أيها الأخ الحبيب لو أن رجلاً كان يركب سفينة فغرقت السفينة وغرق كل من فيها إلا هذا الرجل فلقد ظل متعلقًا بلوح خشبى لكنه ظل يصارع الأمواج ثلاثة أيام بلا طعام ولا شراب وهو ينتظر الموت فى كل لحظة.

فالموت يحيط به من كل مكان.. فإنه إن لم يمت من شدة الجوع والعطش فسوف يموت من شدة الخوف وإن لم يمت من شدة الخوف فسوف يموت من شدة البرد أو من سمكة مفترسة تأتى لتأكله.

وبينما هو على تلك الحالة وإذا به يرى طائرة تُحلِّق فوقه وتدلى له حبلاً ليتعلق به وليصعد إلى الطائرة ليكتب الله له حياة جديدة.

فهذا الحبل بمثابة سنة النبى ﷺ التى تأخذ بيديك من بحار الفتن إلى شاطئ النجاة لتعيش أجمل وأسعد لحظات العمر فى ظل الإيمان ثم تدخل جنة الآخرة التى تسعد فيها سعادة لا شقاء بعدها أبدًا.

طريق النجاة من الضلال إلى الهدى

قال ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض»[(١)].

---

(١) رواه الحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٣٧).

فمن أراد النجاة من الضلال إلى الهدى فعليه أن يتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ففيهما النجاة من الفتن والمهالك. . وهل يتصور أى إنسان أنه يستطيع أن يتحصل على نعمة الهداية بعيدًا عن نور الوحى وبعيدًا عن النبعين الصافيين - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ -.

قال ﷺ: «أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدًا»[1].

وأما عن السنة فحسبنا قول الله «عز وجل»: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤).

أبو بكر رضي الله عنه.. وطاعته لرسول الله ﷺ

تذكر كتب الحديث أن أبا بكر كان ينفق على رجل فقير يسمى مسطح بن أثاثة - وكانت أمه ابنة خالة الصديق - وكان مسطح ممن تكلم فى حادثة الإفك فلما قال ما قال فى عائشة رضي الله عنها ونزلت الآيات ببراءتها قال أبو بكر: والله لا أعد أنفق على مسطح أبدًا بعد ما قال ما قال.

فنزل القرآن الكريم: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

(١) رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤).

وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢).

فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر فتلاها عليه، فوالله ما هو إلا أن سمعها حتى قال: بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى، والله لأردنَّ على مسطح ما كنت قطعته منه»[١].

أجل والله. إنه صدِّيق الأمة الأكبر الذى لم يتردد لحظة واحدة ولم يتأخر عن أى أمرٍ أمره به رسول الله ﷺ.

الصدّيق ينفذ جيش أسامة

وهذا هو الصديق الأكبر رضي الله عنه.

عند انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتدت العرب وقصدوا مهاجمة المسلمين فى معقلهم ـ المدينة المنورة ـ وصار الصحابة رضي الله عنهم كما وصفهم عمار بن ياسر رضي الله عنه كغنم بلا راع، وصارت المدينة المنورة ـ على حسب تعبيره أضيق على أهلها من الخاتم.

وفى مثل هذه الأحوال الصعبة والظروف العسيرة جاء أمر تنفيذ بعث أسامة رضي الله عنه الذى كان قد جهزه رسول الله ﷺ لقتال أعداء الله تعالى فى ديارهم بعيدًا عن المدينة المنورة، لكن الجيش كان قد توقف نظرًا لشدة مرضه ﷺ.

---

(١) أخرجه البخارى (٤٧٥٠) التفسير - ومسلم (٢٧٧٠) التوبة.

فماذا كان موقف الصديق الأكبر ﷺ تجاه أمر الحبيب الكريم ﷺ هذا؟ فلنستمع ما يرويه الإمام الطبرى عن عاصم ابن عدى قال:

نادى منادي أبى بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليتم بعث أسامة: «ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامه إلا خرج فى عسكره بالجرف»(١).

ولما استأذن أسامة الصديق ﷺ فى البقاء مع الجيش بالمدينة نظرًا إلى تقلب الأحوال كتب إليه الصديق ﷺ:

«ما كنت لأستفتح بشىء أولى من إنفاذ أمر رسول الله ﷺ ولأن تخطفنى الطير أحب إلىَّ من ذلك».

ولما أشير إلى خوف مهاجمة العرب على المدينة إذا سمعوا بوفاة الرسول الكريم ﷺ رد على هذا بقوله:

أنا أحبس جيشًا بعثه رسول الله ﷺ ..؟ لقد اجترأت على أمر عظيم والذى نفسى بيده لأن تميل العرب أحب إلىَّ من أن أحبس جيشًا بعثهم رسول الله ﷺ(٢).

وفى رواية عند الطبرى قال:

والذى نفس أبى بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفنى

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٢٣).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبى (ص: ٢٠، ٢١).

لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته»[١].

وأوصى أسامة بقوله:

امض يا أسامة! فى جيشك للوجه الذى أمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله ﷺ[٢].

لا تمنعوا إماء الله مساجد الله

عن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنها وهى زوجة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها كانت تستأذن عمر بن الخطاب إلى المسجد، فيسكت وكان عمر يقول لها: والله إنك لتعلمين أنى ما أحب هذا وكان عمر رجلاً غيورًا.

فتقول: والله لأخرجن إلا أن تمنعنى فلا يمنعها[٣] ولقد طعن عمر وإنها لفى المسجد.

وفى رواية:

كانت تشهد صلاة الصبح والعشاء فى الجماعة فى المسجد، فقيل لها: لِمَ تخرجين وقد تعلمين أن يكره ذلك ويغار؟

قالت: فما يمنعه أن ينهانى.

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٢٥).

(٢) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٢٦).

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ (١/ ١٩٨) فى القبلة.

قالوا: يمنعه قول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»(١).

حقًا إنه فاروق الأمة الذى علم قدر رسول الله ﷺ فكان يؤثر رضا رسول الله ﷺ على شهوات النفس، ويوافق حُكم رسول الله ﷺ ولو كان على غير هواه.

قلوب تتسابق إلى كل طاعة

وأخرج البخارى من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحب أن يُوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿**قد نرى تقلب وجهكَ فى السماءِ فلنُولينَّكَ قبلةً ترضاهَا**﴾ فوجِّه نحو الكعبة وصلى معه رجل العصر، ثم خَرج فمر على قوم من الأنصار فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبى ﷺ وأنه قد وجه إلى الكعبة. فانحرفوا وهم ركوع فى صلاة العصر»(٢).

الله أكبر.. ما أسرعهم (رضوان الله عليهم) تأسيًا بالحبيب المصطفى ﷺ سمعوا خبرًا عنه فلم يترددوا فى التمسك به، بل لم ينتظروا رفع رؤوسهم من الركوع وبادروا بالتوجه إلى

---

(١) رواه البخارى رقم (٩٠٠) فى الجمعة.

(٢) أخرجه البخارى (٧٢٥٢) كتاب أخبار الآحاد.

حيث توجه الحبيب ﷺ إلى الكعبة المشرفة وهم ركوع.

هكذا كان أصحاب النبى ﷺ [١].

ابن مسعود رضي الله عنه ... قمة فى الطاعة

وفى سنن أبى داود عن جابر رضي الله عنه قال: لما استوى رسول الله يوم الجمعة قال: «اجلسوا» فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد، فرآه رسول الله ﷺ فقال: «تعال يا عبد الله بن مسعود»[٢].

هكذا لم تسمح نفس ابن مسعود رضي الله عنه أن يتأخر لحظة واحدة عن تنفيذ أمر النبى ﷺ فجلس على باب المسجد لما سمع أمره ﷺ.

ذلك مال رابح

جاء فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء[٣] وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

---

(١) قواعد المجتمع المسلم (ص: ٩٣).

(٢) رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٩٦٦).

(٣) بيرحاء: قال النووى: هو حائط يسمى بهذا الاسم، وليس اسم بئر والحديث يدل عليه والله أعلم.

قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ (آل عمران: ٩٢). جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ وإن أحب مالى إلى بيرحاء وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها، وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله ﷺ: «بخٍ بخٍ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين»... فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه.

حقًا إنه الإيمان والتسليم

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار قال: فلما خرجوا قال: وجد[1] عليهم فى شىء فقال: أليس أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعونى؟

قالوا: بلى.

قال: فاجمعوا حطبًا، فجمعوا.

---

(١) وجد: حزن وغضب.

قال: أوقدوا نارًا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهمَّ القوم أن يدخلوها، قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا النبى ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها.

قال: فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه.

فقال لهم: لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا، إنما الطاعة فى المعروف»[1].

يا لها من قلوب أسلمت واستسلمت لله «جل وعلا».. إن أمركم رسول الله ﷺ أن تدخلوها فادخلوها.. إنه الإيمان والتسليم لأمر الله ولأمر رسوله ﷺ.

إنها الطاعة بلا تردد

لقد كانوا رضي الله عنهم يطيعون أمر رسول الله ﷺ ويقتدون به فى كل شيء من غير أن يسألوا عن علة هذا الفعل.

وإليكم بعض الأمثلة الرائعة الدالة على ذلك..

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلى بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «ما حملكم على إلقائكم نعالكم».

---

(١) رواه البخارى (٨/٤٧، ٤٨) المغازى - ومسلم (١٨٤٠) الإمارة.

قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا.

فقال رسول الله ﷺ: إن جبريل أتانى فأخبرنى أن فيهما قذرًا.

وقال: إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى فى نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ النبى ﷺ خاتمًا من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبى ﷺ: «إنى اتخذت خاتمًا من ذهب فنبذه وقال: إنى لن ألبسه أبدًا، فنبذ الناس خواتيمهم»(٢).

حنظلة.. غسيل الملائكة

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبى عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان ابن الحارث حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم تغسله الملائكة فسألوا صاحبته عنه - زوجته - فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جُنُب فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة»(٣).

---

(١) رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٦٠٥).

(٢) أخرجه البخارى (٧٢٩٨) الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٤) وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يُخرجاه وسكت عليه الذهبى. وقال الشيخ مصطفى العدوى فى فضائل الصحابة: إسناده حسن.

وقال ﷺ رأيت الملائكة تغسل حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب[١].

والجزاء من جنس العمل.. فمن آثر رضا الله (عز وجل) آثره الله على الناس من حوله فى الدنيا والآخرة.

استجابة الصحابة لأمر رسول الله ﷺ وخروجهم إلى حمراء الأسد

لما عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ وتركوا الجبل فانقضَّ المشركون على المسلمين وقتلوا منهم سبعين صحابيًا وجرحوا عددًا كبيرًا منهم.. بل وأشيع بين الصحابة أن رسول الله قُتل فعاشوا فى محنة لا يعلمها إلا الله.

ولما تيقنوا من أن رسول الله ﷺ ما زال على قيد الحياة اجتمعوا حوله وبذلوا النفس والنفيس من أجل الدفاع عنه. ولما عادوا إلى المدينة المنورة بعد أن دفنوا إخوانهم الشهداء.. علم الحبيب ﷺ أن أبا سفيان بن حرب يفكر فى العودة إلى المدينة من أجل القضاء على المسلمين.

وعلى الرغم من أن الجروح مُثخنة والأجساد مُتعبة إلا أن النبى ﷺ لما ندب أصحابه للخروج واشترط عليهم أن لا

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٦٣).

يخرج معه إلا من خرج بالأمس.. وإذا بالقلوب التى امتلأت حبًا لله ولرسوله ﷺ تقوم على قلب رجل واحد ولسان حالها ومقالها: سمعنا وأطعنا.

فخرج أصحاب الحبيب ﷺ على ما بهم من جراح وآلام وأحزان على قتل إخوانهم.. خرجوا استجابة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ [١].

كعب بن مالك رضي الله عنه.. وطاعة تفوق الخيال

لما تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه عن غزوة تبوك.. وإذا بالحبيب ﷺ يأمر الصحابة بأن يعتزلوه ولا يكلموه.

يقول كعب رضي الله عنه حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض، فما هى بالأرض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.. حتى إذا مضت أربعون من الخمسين وجاء الوحى، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتينى فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك.

فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟

فقال: لا، بل اعتزلها فلا تقربها، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك. فقلت لامرأتى: الحقى بأهلك، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر[٢].

---

(١) مواقف من حياة الأنبياء والتابعين/ للمصنف (١/ ٧٣).

(٢) أخرجه البخارى (٤٤١٨) - ومسلم (٢٧٦٩).

الله أكبر.. أى تسليم هذا.. وأى طاعة هذه.. ما جادل.. وما سوَّف.. وما أبطأ.

بالله عليكم.. هل رأيتم سمعًا وطاعة مثل هذا..؟ على الرغم من هذه الجفوة التى يجدها من رسول الله ﷺ والمؤمنين إلا أنه لم يسعه حين أتاه رسول رسول الله ﷺ أن يأمره أن يعتزل امرأته إلا أن يقول لها: الحقى بأهلك[1].

يا رسول الله.. أتأمر؟

ولم تكن المواقف المشرقة من الصحابة فحسب بل كانت من الصحابيات رضي الله عنهن.

ففى البخارى أن عائشة رضي الله عنها أرادت أن تشترى أمة تسمى بريرة فأبى مواليها إلا أن يشترطوا الولاء، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال: «اشتريها وأعتقيها فإنما الولاء لمن أعتق».

فاشترتها عائشة وأعتقتها وكان لها زوج عبدًا فخُيِّرت من زوجها ـ لأنه صار من حقها أن تختار ـ إما أن تبقى تحت زوجها الذى هو دونها فى الحرية، وإما أن تختار الفراق ـ فاختارت الطلاق، وكان زوجها مغيث يحبها حبًا شديدًا، كان يمشى وراءها فى سكك المدينة يبكى فلما رآه رسول الله ﷺ على هذه الحال قال لعمه العباس: «يا عباس ألا تعجب من حب

(١) قواعد المجتمع المسلم (ص: ٨٣).

مغيث بريرة وبُغض بريرة مغيثًا».

ثم قال لها: «يا بريرة لو راجعته».

قالت: يا رسول الله أتأمر؟

قال: إنما أنا أشفع.

إنها تسأل النبى ﷺ وتقول له: يا رسول الله أتأمر؟.. يعنى لو كنت تأمر فلا يحق لى أن أخالف أمرك يا رسول الله أما إن كنت تشفع فلا حاجة لى فيه «أى فى زوجها».. فالمرأة على أتم الاستعداد لأن تفعل ما يريده النبى ﷺ ولو كان خلاف رغبتها وهواها.

أجل والله.. إنه التسليم والإذعان لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ.

زينب بنت جحش.. وزواجها من فوق سبع سماوات

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا**﴾ (الأحزاب: ٣٦).

رُوى أن هذه الآية نزلت فى زينب بنت جحش - رضي الله عنها - حينما أراد النبى ﷺ أن يحطم فوارق الطبقات الموروثة فى الجماعة المسلمة، فيرد الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل

لأحد على أحد إلا بالتقوى، وكان الموالى - وهم الرقيق المحرر - طبقة أدنى من طبقة السادة. ومن هؤلاء كان زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ الذى تبناه فأراد رسول الله ﷺ أن يحقق المساواة الكاملة بتزويجه من شريفة من بنى هاشم، قريبته ﷺ - زينب بنت جحش ليسقط تلك الفوارق الطبقية بنفسه، فى أسرته وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعى من رسول الله ﷺ تتخذ منه الجماعة المسلمة أسوة، وتسير البشرية كلها على هداه فى هذا الطريق.

روى ابن كثير فى التفسير: قال العوفى عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية... وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها فقالت: لست بناكحته! فقال رسول الله ﷺ «بلى انكحيه» قالت: يا رسول الله أؤامر فى نفسى؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا﴾.. الآية قالت: قد رضيته لى يا رسول الله منكحًا؟ قال رسول الله ﷺ نعم، قالت: إذن لا أعصى رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسى!.

واستمرت الحياة الزوجية بينهما قرابة سنة ثم بدأت الخلافات الزوجية تنشأ بينهما مما جعل هذا الزواج يخلو من المحبة

والصفاء والمودة.

وازدادت الفجوة بين زيد وزينب رضي الله عنهما يومًا بعد يوم حتى وصلت الحياة بينهما إلى طريق مسدود فكان لابد من الطلاق فجاء أمر الله «عز وجل» فأذن بطلاقها وأمر رسول الله ﷺ بزواجها.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً**﴾ (الأحزاب ٣٧)[1].

وكانت المكافأة الربانية لزينب بنت جحش رضي الله عنها فلقد أمر الله «عز وجل» رسول الله ﷺ بزواجها من فوق سبع سماوات.

ولذا كانت تتفاخر على أزواج النبى ﷺ وتقول لهن - كما عند البخارى - «زوَّجكن أهاليكن وزوَّجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات».

اللهم صُب عليها الخير صبًا

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ**

(١) صحابيات حول الرسول ﷺ/ للمصنف (ص: ٢١٢، ٢١٣) بتصرف.

أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وها نحن نعيش من خلال تلك الكلمات مع ثمرة من ثمرات السمع والطاعة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ .

فها هو جليبيب ﷺ يريد أن يتزوج امرأة من نساء الدنيا، فيأبى الله إلا أن يزوجه من الحور العين.

فعن أبى برزة الأسلمى: «أن جليبيبًا كان امرءً من الأنصار، وكان أصحاب النبى ﷺ إذا كان لأحدهم أيِّم - فتاة - لم يزوجها حتى يُعلم النبى ﷺ : هل له فيها حاجة أم لا؟

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار: «يا فلان زوجنى ابنتك» قال: نعم، ونعمة عين. قال: «إنى لست لنفسى أريدها» قال: لمن؟ قال: «لجليبيب» قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها.

فأتاها فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. قالت: نعم، ونعمة عين، زوِّج رسول الله. قال: إنه ليس لنفسه يريدها، قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب. قالت: أجليبيب؟ لا لعمر الله لا أزوج جليبيبًا.

فلما قام أبوها ليأتى النبى ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبنى إليكما؟ قالا: رسول الله ﷺ .

قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعونى إلى رسول الله فإنه لن يضيعنى.

فذهب أبوها إلى النبى ﷺ فقال: شأنك بها، فزوِّجها جليبيبًا.

قال إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة لثابت: أتدرى ما دعا لها به النبى ﷺ؟

قال: وما دعا لها به النبى ﷺ؟

قال: «اللهم صب عليها الخير صبًا ولا تجعل عيشها كدًا كدًا».

قال ثابت: فزوجها إياه، فبينما رسول الله ﷺ فى مغزى له ـ غزوة ـ قال: «هل تفقدون من أحد؟».

قالوا: نفقد فلانا ونفقد فلانًا.

ثم قال: هل تفقدون من أحد؟

قالوا: نفقد فلانًا وفلانًا.

ثم قال: هل تفقدون من أحد؟

قالوا: لا.

قال: ولكنى أفقد جليبيبًا فاطلبوه فى القتلى.

فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه.

فقال رسول الله ﷺ هذا منى وأنا منه، أقتل سبعة ثم

قتلوه؟ هذا منى وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا منى وأنا منه».

فوضعه رسول الله على ساعديه ثم حفروا له، ما له سرير إلا ساعدى رسول الله حتى وضعه فى قبره.

قال ثابت: فما فى الأنصار أيم أنفق منها[١].

وكل ذلك لأنها أطاعت أمر رسول الله ﷺ.

هما لله عز وجل ولرسوله ﷺ

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

إن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفى يد ابنتها مسكتان[٢] غليظتان من ذهب.

فقال: أتعطين زكاة هذا؟

قالت: لا.

قال: أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة من سوارين من نار؟

قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ.

(١) قال الهيثمى: هو فى الصحيح خاليًا عن الخطبة والتزويج. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد (١٥٩٧٧).

(٢) مسكتان: تثنية مَسَكة وهى السوار.

وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله ﷺ [١].

إنها لم تفكر لحظة واحدة ولم تتردد فى أن تنخلع من مالها وذهبها وأن تجعل ذلك كله لله «جل وعلا» لأنها تعلم يقينًا أن موضع قدم المؤمن فى الجنة خير من الدنيا وما فيها.

نساء الصحابة.. وطاعة تفوق الخيال

فعن أبى أسيد الأنصارى أنه رأى رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء:

«استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق» فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[٢].

أجل والله.. إنها طاعة تفوق الخيال.

يرحم الله نساء المؤمنات

وتأملوا معى كيف كانت المرأة فى عهد النبى ﷺ تُذعن لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ ولا تتردد لحظة واحدة.

---

(١) رواه أبو داود، وحسنه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (١٣٨٢).
(٢) رواه أبو داود، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٦٥).

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:

يرحم الله نساء المؤمنات الأُوَل، لما أنزل الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١) قمن إلى مرطهن[١] فشققنها ثم اختمرن بها»[٢].

وفي رواية:

لقد أنزلت سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات[٣] كأن رؤوسهن الغربان».

فياليت نساءنا وأخواتنا يفعلن مثلما فعلت نساء الصحابة رضي الله عنهن.

الانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر

قال ﷺ: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير

(١) المرط: كساءٌ من خز أو صوف أو كساء يؤتزر به وتتلفع به المرأة. المعجم الوسيط (٢/ ٨٩٩).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٧٥٨/ ٣٧٦/ ٨) في تفسير سورة النور.

(٣) معتجرات: أي لففن الثوب على رؤوسهن ورددن طرفه على وجوههن.

العريان[١] فالنجاء النجاء[٢]، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق»[٣].

وعن أبى هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «دعونى ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم»[٤].

قال ابن حجر فى الفتح: استدل بهذا الحديث على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات لأنه ﷺ أطلق الاجتناب فى المنهيات ولو مع المشقة فى الترك، وقيد المأمورات بقدر الطاقة والاستطاعة. اهـ[٥].

---

(١) النذير العريان: الذى لا ثوب عليه، وخص العريان؛ لأنه أبينُ فى العين، وأصل هذا: أن الرجل منهم كان إذا أنذر قومه، وجاء من بلد بعيد انسلخ من ثيابه، ليكون أبين للعين.

(٢) النَجَاء: أى اطلبوا الخلاص، وانجوا أنفسكم وخلصوها.

(٣) أخرجه البخارى (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٤) أخرجه البخارى (٨٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٥) فتح البارى (١٣/ ٢٧٥).

انتهينا.. انتهينا

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيان شفاء، فنزلت التى فى البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢١٩).

فدُعى عمر فقُرئت عليه، قال: اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيان شفاء، فنزلت التى فى النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ (النساء: ٤٣).

فدُعى عمر فقُرئت عليه، ثم قال: اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيان شفاء، فنزلت التى فى المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١)، فدعى عمر فقرئت عليه فقال: انتهينا.. انتهينا[1].

نزلت: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ فكانت الإجابة الفورية: انتهينا.. انتهينا.

ولنستمع ما يقول أنس بن مالك ﷺ: يوم أن حُرمت الخمر

(١) رواه أبو داود والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٢٤٤٢).

كنت ساقى القوم فى منزل أبى طلحة فنزل تحريم الخمر، فأمر مناديًا فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا مناد ينادى؟ ألا إن الخمر قد حُرمت فقال لى: اذهب فأهرقها.

قال: فجرت «أى الخمر» فى سكك المدينة[١].

فيا له من مشهد يعجز القلم عن وصفه... إنها القلوب التى رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً... إنها القلوب التى ذاقت حلاوة الإيمان وطعم الطاعة... إنها القلوب التى أسلمت واستسلمت لفاطر السماوات والأرض (جل وعلا)... ومن أجل ذلك أعزهم الله فى الدنيا والآخرة... فيا ليتنا نستجيب لأمر الله وننتهى عن نهيه كما فعل أصحاب النبى ﷺ لنسعد فى الدنيا والآخرة.

هكذا يكون الامتثال لنهى النبى ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءه جاء فقال: أُكلت الحُمُر.. فسكت.

ثم أتاه الثانية فقال: «أُكلت الحُمرُ» فسكت.

ثم أتاه الثالثة فقال: «أفنيت الحُمرُ».

فأمر مناديًا فنادى فى الناس: «إن الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية».

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٦٢٠) فى التفسير.

فأُكفيت القدور وإنها لتفور باللحم»[١].

إنهم لم يفكروا فى أى حيلة ليأكلوا تلك اللحوم.. بل إنهم أذعنوا لأمر رسول الله ﷺ.. ونحن نُهدى هذه الصورة المشرقة لكثير من المسلمين الذين يتحايلون على الشرع من أجل أن يستحلوا الحرام.. نقول لهؤلاء جميعًا: إن الخير كل الخير فى أن نمتثل أمر الله وأمر رسول الله ﷺ ولو كان لا يوافق هوانا فإن بركة الطاعة تجلب للعبد سعادة الدارين فى الدنيا والآخرة.

موقف الصحابة من كعب بن مالك وصاحبيه

وهذا موقف صحابة النبى ﷺ من كعب بن مالك وصاحبيه الذين خُلِّفوا فى غزوة تبوك عندما نهى الرسول ﷺ عن كلامهم.

فلنترك كعبًا يحدثنا كيف كان موقفهم، يقول كعب: ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال: فاجتنبنا الناس ـ أو قال: تغيروا لنا ـ حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض، فما هى بالأرض التى أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم فكنت أخرج،

(١) أخرجه البخارى (٤١٩٩) - ومسلم (١٣٦٥).

فأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق فلا يكلمنى أحد.

ثم يقول: حتى إذا طال علىَّ ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة - وهو ابن عمى، وأحب الناس إلىَّ - فسلمت عليه - فوالله ما رد علىَّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلمنى أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم[1]، ففاضت عيناى، وتوليت حتى تسورت الجدار[2].

أرأيتم كيف أن ابن عمه رفض أن يكلمه لأن النبى ﷺ نهاهم عن كلام أى واحد من الثلاثة.. مع أنه لا يراه أحد ولكنه لا يعصى أمر رسول الله ﷺ حتى وإن كان النبى ﷺ لا يراه.

يخاصمه لأنه لم يمتثل نهى النبى ﷺ

ففى الصحيحين أن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه رأى رجلاً يخذف فقال له: لا تَخذف فإن رسول الله ﷺ نهى عن

(١) قال القاضى: لعل أبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه؛ لأنه منهى عن كلامه، وإنما قال ذلك لنفسه، لما ناشده الله، فقال أبو قتادة: مظهرًا لاعتقاده، لا لسمعه، ولو حلف رجل لا يكلم رجلاً، فسأله عن شىء؟ فقال: الله أعلم، يريد إسماعه وجوابه: حنث.

(٢) أخرجه البخارى (٢٨٩)، ومسلم (٢٧٦٩).

الخذف ـ أو كان يكره الخذف، وقال: «إنه لا يُصاد به صيد ولا ينكأ به عدو، ولكنها تكسر السن، وتفقأ العين» ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف ـ أو كره الخذف ـ وأنت تخذف؟ لن أكلمك كذا وكذا.

* إن المؤمن لابد أن يغضب إذا انتهكت حرمات الله «جل وعلا» ولقد كان النبى ﷺ لا يغضب لنفسه أبدًا ولكنه كان يغضب أشد الغضب إذا انتهكت حرمات الله «عز وجل».

ولذا قال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[1].

وأخبر النبى ﷺ كما فى الصحيحين ـ أن من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «... ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه..».

فيا ليتنا إذا رأينا أخًا من إخواننا يخالف سنة الحبيب ﷺ أن ننهاه عن ذلك ولكن بكل لين ورحمة ورفق فإن الرفق ما كان فى شىء إلا زانه وما نُزع من شىء إلا شانه.. كما أخبر الحبيب ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم.

* * *

(١) رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٦٥).

نعمة الاتباع

قال تعالى: ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ⑮ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦).

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[١].

وقال الفضيل بن عياض: فى قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً﴾.

قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا على ما أخلصه وما أصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل.. وإن كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على سنة

(١) أخرجه البخارى تعليقًا بصيغة الجزم (٤/٢٩٨) البيوع، ومسلم (١٧١٨) الأقضية.

رسول الله[١].

وعن أنس بن مالك في حديث الثلاثة رهط: قال ﷺ: «. . . فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت مولاة لرسول الله ﷺ أخبر عنها أنها تقوم الليل وتصوم النهار فقال ﷺ: «لكل عامل شرة، ولكل شرة فترة فمن صارت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن أخطأ فقد ضل»[٣].

* يقول ابن القيم رحمه الله في مقدمة طريق الهجرتين وباب السعادتين:

قال الجنيد بن محمد: الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي ﷺ فإن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا فرطكم على الحوض، وليختلجن رجال دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول:

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٢١)، وذكره الشاطبي في الاعتصام (١/٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٤) النكاح - ومسلم (١٤٠١).

(٣) رواه الترمذي، وحسنه الأرنؤوط في جامع الأصول (١/٣١٤).

سحقًا سحقًا لمن بدل بعدى»[١].

وعن عمر بن عبد العزيز لما بايعه الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه ليس بعد نبيكم نبى، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سُنتكم سُنة، ولا بعد أمتكم أمة، ألا وإن الحلال ما أحل الله فى كتابه على لسان نبيه حلال إلى يوم القيامة، ألا وإن الحرام ما حرم الله على لسان نبيه حرام إلى يوم القيامة، ألا وإنى لست بمبتدع ولكنى متبع.

* وقال سفيان الثورى ليوسف بن أسباط ناصحًا: يا يوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة، فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، فقد قلّ أهل السنة والجماعة[٢].

وعن أبى بن كعب رضي الله عنه أنه قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة، ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدًا، وإن اقتصارًا فى سبيل وسنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة[٣].

---

(١) أخرجه البخارى (١١/ ٤١٢) الرقاق - ومسلم (٢٢٩٠) الفضائل.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء (٧/ ٣٤)، وابن الجوزى فى تلبيس إبليس (ص: ٩).

(٣) اللالكائى فى شرح أصول الاعتقاد (١/ ٥٤)، وابن الجوزى فى تلبيس إبليس (ص: ١٠).

* وهذا هو فاروق الأمة عمر رضي الله عنه يأتي إلى الحجر الأسود فقبَّله ثم قال: «إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[١].

ثم قال: إياكم وأصحاب الرأى فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأى فضلُّوا وأضلوا[٢].

وقال على رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه.

* ولقد بلغ حرص صحابة النبى ﷺ على الاتباع وتحذيرهم من الابتداع وخوفهم منه مبلغًا عظيمًا.

فهذا صدِّيق الأمة الأكبر يخشى على نفسه ويخشى على إيمانه - الذى لو وزن بإيمان الأمة لرجح - إن ترك شيئًا من أمره ﷺ.

فيقول: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به إنى أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ[٣].

ويقول رضي الله عنه: أى أرض تُقلنى وأى سماء تظلنى إن قلت فى

---

(١) أخرجه البخارى رقم (١٥٩٧) فى كتاب الحج باب ما ذكر فى الحجر الأسود.

(٢) إعلام الموقعين (١/١٥٥) وقال ابن القيم معلقًا: وأسانيد هذا الأثر عن عمر فى غاية الصحة.

(٣) الاعتصام (١/٨٠) ط. دار إحياء التراث.

آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم[١].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحى لا تؤمنَ عليه الفتنة، فأولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم، فإنهم على الهدى المستقيم»[٢] اهـ.

بركة السمع والطاعة

وعن أبى هريرة ﷺ قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤) اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بَرَكُوا على الرُّكَب فقالوا: أى رسول الله كُلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والجهاد والصيام والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٥٤) ط. دار الجيل.

(٢) أخرجه أبو عمر بن عبد البر فى «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٧)، والهروى ورقمه (٨٦) وفيه من طريق قتادة عنه فهو منقطع قاله الألبانى فى تخريج مشكاة المصابيح (ص: ١٩٣).

الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما اقترأها القوم، وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى فى إثرها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: نعم ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: نعم[١].

إنها بركة السمع والطاعة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ. . قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) الإيمان.

فليحذر الذين يخالفون عن أمره

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

ولقد رأينا كيف أن أصحاب النبى ﷺ لما خالفوا أمرًا من أوامره ﷺ فى غزوة أُحد وترك الرماة الجبل فاستطاع المشركون أن يقتلوا سبعين من أصحاب النبى ﷺ بل وأرادوا أن يقتلوا النبى ﷺ .. ولذا قال تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٦٥).. ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أى: بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا مكانكم فعصيتم... يعنى بذلك الرماة.

فإن كان هذا حدث لأصحاب الرسول ﷺ حين عصوا الرسول ﷺ فى أمر واحد فما ظنكم إذا عصت الأمة رسول الله ﷺ فى كل أوامره؟

إننا فى أشد الحاجة إلى أن نقف وقفة صادقة مع أنفسنا لنرى أين نحن من هدى النبى ﷺ ومن أخلاقه ومعاملاته حتى نتأسى به ونقتفى أثره ﷺ.

* * *

ماذا تصنع لو طرق النبى ﷺ بابك الليلة؟

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

بالله عليكم.. لو طرق النبى ﷺ باب أحدكم الليلة فماذا يصنع؟

تخيل معى.. كأن النبى ﷺ يطرق بابك الآن فقلت: من؟ فقال: رسول الله ﷺ فإن كنت عاصيًا لله غير متبع لهدى رسول الله ﷺ فدخل النبى ﷺ بيتك ووجد آلات اللهو والمنكرات فبأى وجه ستلقى الحبيب ﷺ؟

أما إن كنت طائعًا وطرق النبى ﷺ بابك فقلت: من؟ فقال: رسول الله ﷺ فيا لها من لحظة يعجز القلم عن وصفها.. فإذا بك تُقبل رأس النبى ﷺ ويديه ورجليه.. فإذا دخل بيتك وجد فيه ما يسره ويسعده.. وجد فيه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ... وجد بيتًا أُسس على التقوى فأهله يقومون الليل ويصومون النهار ويطلبون العلم ويدعون إلى الله.. لكأنى بالنبى ﷺ فى تلك اللحظة يقول لك: بارك الله فيك موعدى معك على الحوض.

فتلقى النبى ﷺ على الحوض لتشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا تظمأ بعدها أبدًا ثم يأخذ النبى ﷺ بيديك ليدخلك الجنة.. فياليتنا نستعد من الآن للقاء الله «جل وعلا» وللقاء رسول الله ﷺ على الحوض.

لقاء على حوض النبى ﷺ

قال ﷺ كما فى الصحيحين: «حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا».

وقال ﷺ : «وحوضى من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا. .»(١).

وهذا الخير لا يكون إلا للموحدين الذين تعايشوا بقلوبهم وأجسادهم مع سنة سيد الأولين والآخرين ﷺ .

ومع ذلك فهناك صنف آخر لم يعرفوا قدر النبى ﷺ ولم يطيعوه ولم يتبعوه. . فإذا جاءوا يوم القيامة وأرادوا أن يشربوا من حوض النبى ﷺ فإن الملائكة تبعدهم عن الحوض.

قال ﷺ كما فى الصحيحين: ـ «إنى على الحوض حتى أنظر من يرد علىَّ منكم، وسيؤخذ أناس دونى فأقول: يارب منى ومن أمتى فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم».

وقال ﷺ كما فى الصحيحين: «إنى فرطكم على الحوض، من مرَّ بى شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردنَّ

(١) رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٦٢).

عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونى، ثم يُحال بينى وبينهم، فأقول إنهم منى فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقًا سُحقًا لمن بدل بعدى».

فاللهم اجعلنا من أتباع النبى ﷺ الذين يشربون من حوضه ويسعدون بصحبته فى الجنة.

ولن تدخل الجنة إلا خلف النبى ﷺ

وإذا كان الحق «جل وعلا» أبَى أن يجعل طريقًا للجنة إلا خلف النبى ﷺ . . فإنك أيضًا إذا كنت من أهل الجنة فلن تدخل الجنة إلا خلف الحبيب النبى ﷺ.

قال ﷺ : «أنا أول الناس يشفع فى الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»(١).

وقال ﷺ : «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»(٢) أى: أحركها.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا أكثر الناس تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»(٣).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «آتى باب الجنة يوم القيامة

(١) أخرجه مسلم عن أنس - صحيح الجامع (١٤٥٧).
(٢) رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٥٩).
(٣) رواه مسلم (٣/ ٧٣ - نووى).

فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحدٍ قبلك»[1].

فيا لها من لحظة سعيدة يوم أن تدخل الجنة خلف النبى ﷺ وتسعد بصحبته بعد أن حُرمت رؤيته فى الدنيا.. فنسأل الله «جل وعلا» أن يرزقنا نعمة الطاعة والاتباع لنسعد فى الدنيا والآخرة.

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة: يا ليتنا جميعًا نقف مع أنفسنا وقفة محاسبة لنحاسب أنفسنا على التفريط فى زمن الصبا ولنبدأ صفحة جديدة مليئة بالحب والطاعة وحسن الاتباع لسيد الأولين والآخرين عسى الله أن يحشرنا فى زمرة المتقين وأن يجمعنا بسيد الأولين والآخرين ﷺ لنكون معه فى أعلى عليين.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وما زال معكم على الطريق

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

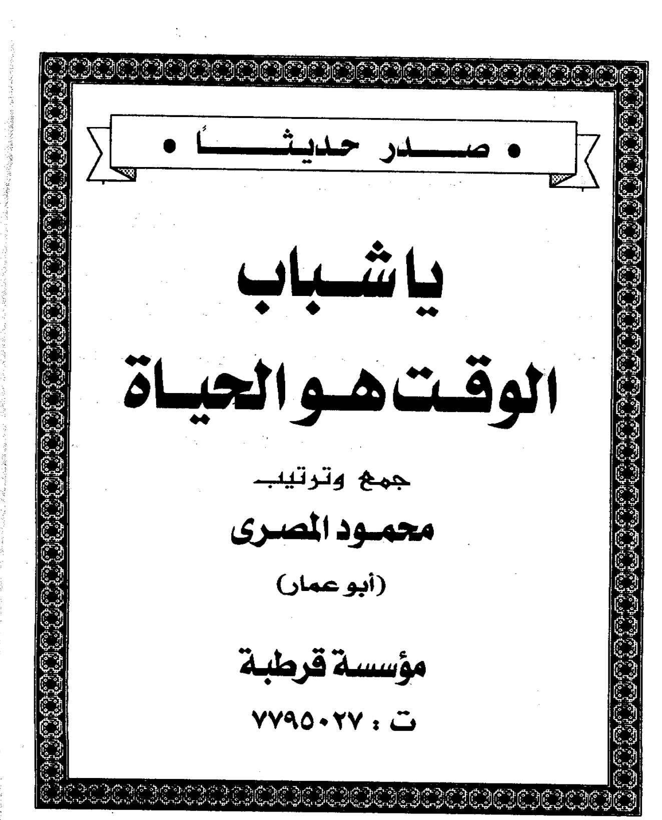
محمود المصرى (أبو عمار)

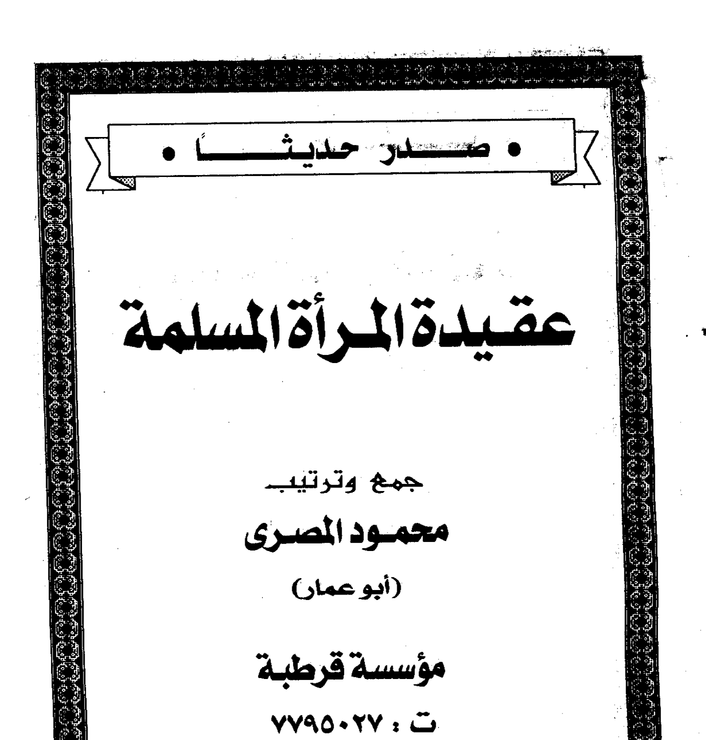
---

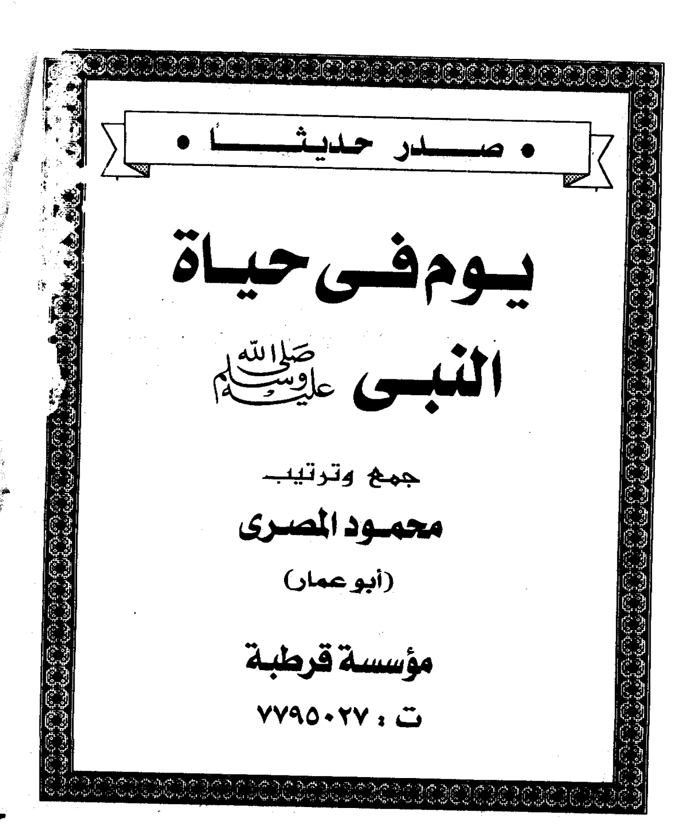
(١) رواه مسلم (٣/ ٧٣ - نووى).

فهرس الكتاب

الموضـــوع	الصفحة




• صدر حديثاً •
عقيدة المرأة المسلمة
جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)
مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧



• صـدر حديثـاً •
يوم فى حياة
النبى صلى الله عليه وسلم
جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)
مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧